

نقاط في ميزانية الأسرة

إن الدخل الشهري لمعظم شباب اليوم دخلٌ متوسط أو دون ذلك؛ الأمر الذي يدعو إلى الالتفات الجيد إلى اقتصاد الأسرة كسباً وإنفاقاً، وتدريب كلا الزوجين على الإدارة الصحيحة للمبالغ المالية وسائر موارد الأسرة حتى نجنب الزوجين مد اليد للآخرين أو التفريق بسبب الإعسار.

ربما تفرقت أسرٌ بسبب سوء استخدام المال، إمّا من قِبَل الزوج بسبب سوء كسبه، أو من قِبَل الزوجة بسبب سوء تدبيرها، أو من بخل الزوج، أو إسراف الزوجة، أو ثَقُل الدِّم المالية على الزوجين، ومن الواضح أنّ كثرة هذه الضغوط المادية على الزوجين تؤدّي أحياناً الى فتور العلاقة بينهما، الأمر الذي يهدّد سعادة الأسرة وبقائها.

ويتضح أن العائلات الأكثر استقراراً أسرياً من الناحية المالية ليست بأيسر مالياً من العائلات المضطربة دائماً، ولكنها بلا ريب أحظى منها بإدارة مالية صحيحة تحسن الكسب والإنفاق.

وقد كانت الأسر من قبل وافرة السعادة، عندما كان فيها ربات بيوت يُحسِنُ التدبير، لو وقعت حبة رزٍّ على الأرض لقلن لأولادهن: ارفعنها وإلا حرّمنا الله منها!

وعندما كان فيها رجال يُحسنون الكسب؛ فماء وجوههم أغلى من ماء حياتهم، تهون عليهم أرواحهم ولا تهون نفوسهم أن يمدوا يدهم ليسألوا أو يستدينوا.

لكل ما سبق كانت هذه المحاضرة المهمة في الدورة التأهيلية للحياة الزوجية وهي جزء من دورة كاملة أعددنا لها عن الاقتصاد المنزلي.

وفي المحاضرة عشر نقاط:

● النقطة الأولى: الإنفاق مسؤولية الزوج، وحسن التدبير مسؤولية الزوجين.

تقع مسؤولية نفقة البيت - شرعاً وقانوناً وعرفاً - على عاتق الرجل، ولئن أنفقت الزوجة شيئاً من المال في البيت فإنما تُنفقه على سبيل الهدية كرمًا وإحسانًا، وتبقى النفقة على البيت من مسؤوليات الرجل، قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

وقال رسول الله ﷺ: «وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكَسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ» [مسلم]، وقال ﷺ: «حَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كَسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ» [الترمذي].

● النقطة الثانية: الزوج مأجورٌ على الإنفاق،
والزوجان مأجوران على حسن التدبير.

من أعظم الصَّدقات التي يقدمها الرجل هي تلك النفقات
التي يوجهها إلى بيته وأفراد أسرته.

قال رسول الله ﷺ: «أفضلُ دينارٍ يُنفقه الرجل: دينار
يُنْفِقُهُ على عياله، ودينار يُنْفِقُهُ الرجل على ذابته في
سبيل الله، ودينار يُنْفِقُهُ على أصحابه في سبيل الله». قال
أبو قلابة -أحد رواة الحديث-: بدأ بالعيال، وأيُّ
رجل أعظم أجراً من رجل يُنْفِقُ على عيال صغار، يُعِفُّهم
الله وَيَنْفَعَهُمْ به، وَيَغْنِيَهُمْ وَيَعِينُهُم الله به؟! [مسلم].

وتؤجر المرأة - كذلك - على حسن التدبير، كلما حافظت على النعمة داخل البيت؛ كلما طهت طعاماً، أو خاطت ثياباً، أو أحسنت إدارة المصروفات...

● النقطة الثالثة: الإسراف ممقوت، والبخل مذموم، والمشروع ما بينهما.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

قال رسول الله ﷺ: «خَلَقَ اللهُ جَنَّةَ عَدْنَ بِيَدِهِ، وَخَلَقَ فِيهَا ثَمَارَهَا، وَشَقَّ فِيهَا أَنْهَارَهَا، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَكَلَّمِي، فَقَالَتْ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾» فقال: وعزتي وجلالي، لا يجاورني فيكِ بخيل» [الحاكم والطبراني].

ينفق بعض الرجال ما شاء على نفسه، فإذا أراد الإنفاق على أهل بيته ضيق وقتّر، يعيش أولاده الشدّة، وتعيش زوجته القلّة، ويعيش هو البهجة والرخاء، فهو غير محبوب في بيته ولا خارجه، «وأي داء أدوى من البخل» [البخاري في الأدب المفرد، والحاكم].

● النقطة الرابعة: المحافظة على النعمة.

تَعَجَّبَ مِنْ بَيُوتٍ تَلْقَى بِقَايَا الطَّعَامِ فِي الْقِمَامَةِ، وَتَتْرَكَ
الْأَضْوَاءَ مَنَارَةً مِنْ دُونِ حَاجَةٍ، وَتَسْتَخْدِمُ الْهَاتِفَ
السَّاعَاتِ بِغَيْرِ ضَرُورَةٍ...

رَبَّمَا طَهَّتْ امْرَأَةٌ فِي بَيْتِهَا طَعَامًا يَكْفِي قَبِيلَةَ، وَلَا يَوْجَدُ فِي
الْمَنْزِلِ غَيْرَ خَمْسَةِ أَشْخَاصٍ، فَيَأْكُلُونَ ثُمَّ يَرْمُونَ الْبَاقِي!!
وَلَعَلَّ أُخْرَى تَتْرَكَ الطَّعَامَ خَارِجَ الْبَرَادِ، ثُمَّ يَتَلَفُ، فَتَرْمِيهِ!!

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
فَرَأَى كِسْرَةً مُلْقَاةً فَمَسَحَهَا، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَحْسِنِي
جِوَارَ نِعَمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّهَا مَا نَفَرَتْ عَنْ أَهْلِ بَيْتٍ
فَكَادَتْ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِمْ» [البیهقي].

- ومن صور الحفاظ على النعمة:

أ. الاقتصاد في المَطْعَم والمشْرَب:

فالمسلم الواعي لا يأكل إلا قصداً، ولا يُدخِل الطعام على الطعام، ولا يستكثر من المباحات فوق الحاجة، اقتصاداً في نفقته، ومراعاة لصحة بدنه.

ب. الاقتصاد في استعمال الموارد الطَّبيعية:

الماء والغذاء والكهرباء موارد طبيعية، ونحن قوم مستخلفون في الأرض، ومواردها أمانة بين أيدينا، ليس لنا أن نبذّدها، أو نصرفها في غير مكانها.

ج. دفعُ الفائض لمن يحتاجه:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ» قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ؛ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي الْفَضْلِ [رواه مسلم].

د. إعادة التدوير:

وفيه يتم تحويل المادة المزهود بها إلى مادة جديدة ذات قيمة ومرغوب بها، حفاظاً على نعمة الله.

فمن الممكن أن يُعدَّل ثوب الأم ويُحسَّن لترتيديه البنت، ومن الممكن أن تستخدم بقايا الخبز في الفتّات، والورق المكتوب على وجهه الأول من الممكن أن يفيد في استخدامه مسودات، والكتاب المدرسي الذي درس به الابن الأول يحافظ عليه ليدرس به بعد سنة أو أكثر الابن الثاني، والورق الزائد من نبات النعنع الأخضر يجفف ثم يسحق ليستخدم يابساً.

وهكذا يساعد التدوير في الحفاظ على النعم، فيدعم اقتصاد الأسرة.

● النقطة الخامسة: التنفير من الاستدانة.

الدَّيْنُ هُمُّ بِاللَّيْلِ ذُلٌّ بِالنَّهَارِ، تجدد المدين في نهاره يتوارى
عن الدائن إذ أرهقه ذُلُّ المطالبة والمحاسبة، وتجده في ليله
يؤرقه هُمُّ السَّدَادِ ويمنع الرِّقَادَ.

تستدين أسرة للخروج في رحلة سياحية، أو لشراء شاشة
تلفاز كبيرة جديدة، ويستدين شاب لتغيير هاتفه المحمول،
وتستدين شابة لشراء ثوب لحضور حفلة...!

والمأمول من كل هؤلاء أن يسعوا إلى التَّوفِيرِ لا إلى السَّرْفِ
والتبذير، فالتَّوفِيرُ يجنبهم حرج الاستدانة، والسَّرْفُ يوقعهم
في الحرج والمهانة.

إِيَّاكَ أَنْ تَتَعَوَّدَ -أيها الرجل- على الدَّيْنِ، وإِيَّاكَ -أيُّها
المرأة- أَنْ تَدْفَعِي زَوْجَكَ نَحْوَ الدَّيْنِ، وَطَنًا نَفْسِيكَمَا أَنْ

يكون الخَرْج متناسباً مع الدَّخْل، قال النبي ﷺ: «يُغْفَرُ
لِلشَّهِيد كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ» [رواه مسلم]، وقاس العلماء
على الدَّيْن سائر حقوق العباد.

كان في الشام سجن يسمى (سجن الأموات): فإذا مات
رجل وعليه دين وضع في كَوَّة جدار المقبرة من جهة
الطريق، حتى إذا مرَّ الناس به وشاهدوا حاله تصدقوا عليه
حتى يقضى عنه الدين فيدفن.

إنَّ من جملة الدَّيْن مهور البنات، وربما وافق الشاب على
مهر عالٍ زعماء منه أنه (حبر على ورق!!)، والمهر شرعاً
وقانوناً ليس كذلك أبداً، بل هو حق للمرأة ودين لازم في
ذمة الزوج، ولها أن تطالب بمقدَّمه متى شاءت.

ويلحق بالدين الشراء بالتقسيط، والنبي ﷺ يقول:
«لا أشتري شيئاً ليس عندي ثمنه» [أبو داود].

● النقطة السادسة: المحافظة على الأصول الثابتة.

من الأخطاء الكبيرة عند بعض الأسر تبديد الأصول الثابتة التي تملكها، فالبیت أصلٌ ثابت؛ لأنه مكان السكن، والمتجر أصلٌ ثابت؛ لأنه مكان العمل، وأمثال هذه الأمور لا تباع إلا أن توضع في أصول مثلها أو خير منها، لا لأجل تمويل مشروع تجاري مهما كان مردوده.

قال رسول الله ﷺ: «لا يُبَارَكُ في ثَمَنِ أَرْضٍ وَلَا دَارٍ لَا يُجْعَلُ فِي أَرْضٍ وَلَا دَارٍ» [الإمام أحمد].

وقال النبي ﷺ: «من باع منكم داراً أو عقاراً فليعلم أنه مالٌ قَمَنٌ - جدير - أن لا يبارك له فيه، إلا أن يجعله في مثله» [أحمد وابن ماجه].

قد يبيع رجل بيته بمبلغ مناسب على أن يكون التسليم بعد ثلاثة أشهر وفي هذه المدة وبينما هو يبحث عن بيت جديد ترتفع الأسعار فلا يستطيع أن يشتري بيتاً أحسن منه، ولربما اضطر إلى شراء بيت مساوٍ لبيته الأول، أو أصغر منه، فكان المفروض على هذا الرجل أن يجد أولاً البيت البديل المناسب، ثم يلجأ إلى بيع بيته.

● النقطة السابعة: ترك الترف.

الترف: هو الإغراق في التمتع، كأن يضع شاب ساعة من ذهب، أو يكتب بقلم من ذهب...، وهذا كله حرام.

ومن ذلك اتخاذ المقتنيات والأواني الذهبية، قال رسول الله

ﷺ: «إِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ فِي آيَةِ الْفُضَّةِ وَالذَّهَبِ

إِنَّمَا يَجْرُجُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ» [البخاري].

الترف لا يأتي بخير، والمترفون في الغالب لا ينجحون،

وغالب الذين عادوا الرُّسل وحاربوهم كانوا من المترفين

المُتَّخِمِينَ، الغارقين في لذائذ الدنيا، قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا

أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سبأ: ٣٤].

ويختلف معيار الترف من إنسان لآخر، فالترف ليس أمراً مقصوراً على الأغنياء، بل مشتركاً بينهم وبين الفقراء، فقد ترى فقيراً لا يتجاوز دخله ثلاثين ألفاً يشتري هاتفاً محمولاً بأربعين ألف ليرة، أو ينفق ستة آلاف شهرياً على سجائر التبغ!!

● النقطة الثامنة: الموازنة المنزلية:

وهي عبارة عن خطة مالية تضعها الأسرة، توضّح فيها طريقة توزيع دَخلها المالي على بنود الإنفاق المختلفة في فترة زمنيّة محدّدة -قد تكون أسبوعاً أو شهراً أو سنة، وقد تمتد لأكثر من سنة، ويتوقف ذلك على طبيعة دخل الأسرة وعلى أهدافها، ويستحسن وضع الموازنة سنوية ثمّ موازنات جزئية؛ أي: شهرية وأسبوعية-.

- أولاً: لماذا نضع الموازنة؟

- (١) لتحقيق التناسب بين الخَرج والدَّخل.
- (٢) لتحديد أولويات الصرف.
- (٣) لتحقيق نسبة من الادِّخار.

ثانياً: خطوات وضع الموازنة

- (١) اعرف دَخلَكَ.
- (٢) حدّد مصروفاتك وأولوياتك: (ضروريات - حاجيات - كماليات).
- (٣) ضع بنود المصروفات مع المبلغ المرصود لها.
- (٤) وازن الموازنة: فإن كان الوارد أكبر من الصادر فهي موازنة رابحة، وتحتاج إلى مشاريع لثمير الفائض.
- وإن كان الصادر يساوي الوارد فالموازنة بحاجة إلى تخطيط أكثر حتى تتمكن من الإِدِّخار.
- أما إن كان الصادر أكبر من الوارد فهذا ما يطلق عليه (العجز في الموازنة)، ويكون علاجه بإعادة ترجيح كفة المدخولات على كفة المصروفات؛ وذلك بتقليل

المصروفات وزيادة المدخولات، والتنازل عن بعض العادات الاستهلاكية، والالتزام عند التطبيق والإنفاق بتنفيذ بنود الموازنة مهما كان الإغراء في الشراء، وإلا فالعجز نتيجة حتمية، وسيتم اللجوء الى الحلّ المرّ وهو الاستدانة أو الكسب غير المشروع.

(٥) راقب وقوم.

مثال تطبيقي: (موازنة شهرية لزوج وزوجة وولدين).

الدخل			الخرج (الضروريات + الحاجيات)		
٥٠٠٠٠ ل.م	عمل وظيفي		فواتير	٣٠٠٠	كهرباء
			٥٠٠	ماء	
			٥٠٠	هاتف أرضي	
			٤٠٠٠	جوال ٢٤٠٠	
٢٠٠٠٠ ل.م	عمل إضافي		طعام	٢٠٠٠	خبز
				٧٠٠٠	لحم
				٧٠٠٠	خضار
				٧٠٠٠	حواضر
				٤٠٠٠	طاقة (غاز - مازوت...)
				٧٠٠٠	مؤونة (سمنة - زيت - رز - برغل)
				٣٠٠٠	نثریات
				١٠٠٠٠	مواصلات
				٥٠٠٠	أطفال
				٣٠٠٠	حاجيات
			منظفات	٤٠٠٠	منظفات
			٦٧٠٠٠		المجموع
			الاِخْار		٣٠٠٠

● النقطة التاسعة: آليات التّوفير

يتوجه العالم اليوم إلى سياسة "شدّ الأحزمة"، ويوجّه السكان للبحث في إمكانية استبقاء مبالغٍ من دخلهم للأزمات، ويدّخرون لأنفسهم وللأجيال القادمة. والحقُّ أن مسألة الادّخار والتّوفير وإبقاء بقية من دخل الفرد والأسرة مهمٌّ جداً في عملية النّماء، وإذا علّم الفرد أين يذهب ماله علّم أين يذهب مستقبله.

وهذه عشر آليات يمكن من خلالها التّوفير:

- | | |
|---------------------|----------------------|
| ١. التقليل. | ٦. إعادة البيع. |
| ٢. الإلغاء. | ٧. الاستعمال الأمثل. |
| ٣. الاستبدال. | ٨. الشراء الأمثل. |
| ٤. التدوير. | ٩. الادّخار. |
| ٥. إعادة الاستعمال. | ١٠. الصدقة. |

● النقطة العاشرة: نصائح في التسوق.

تقام في العالم اليوم دورات مبيعات، هدفها: إقناع المرء بشراء السلعة ولو لم يكن بحاجة إليها، فليحذر كلُّ رجل وامرأة عند ذهابهما إلى السوق أن يشتريا سلعة لا حاجة لهما بها.

وهذه ثمان نصائح تنفع في التسوق:

- (١) اكتب الأشياء التي تريد شراءها قبل الذهاب إلى السوق، ورتبها حسب الأهمية.
- (٢) خصّص مبلغاً معيناً للتسوق.
- (٣) اختر وقتاً مناسباً للتسوق كوقت التخفيضات، ومكاناً مناسباً للتسوق كأسواق بيع الجملة.
- (٤) لا تشتري ما هو فوق الحاجة ولو كان زهيد الثمن.

- (٥) لا تلتفت كثيراً إلى الإعلانات المغرية.
- (٦) السوق ليس متنزّهاً، ولا مكاناً للترفيه وتضييع الأوقات ولعب الأطفال.
- (٧) لا تنسَ دعاء دخول السوق: «لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [الترمذي]، «بسم الله، اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرّها وشرِّ ما فيها، اللهم إني أعوذ بك من يمينٍ فاجرة أو صفقة خاسرة» [الحاكم].
- (٨) لا تذهب إلى السوق وأنت جائع؛ فالجائع يشتهي ما يراه من الطعام، وإغرائه بما يؤكل سهل.

ختاماً: يقول رسول الله ﷺ: «ما عال - افتقر - من اقتصد» [أحمد والطبراني].

وقال رسول الله ﷺ: «إن الهدي الصالح، والسَّمتُ الصالح، والاقتصاد، جزءٌ من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة» [أبو داود].

مراجع الملخص:

- الدورة التأهيلية للحياة الزوجية، د. محمد خير الشعال.

- دورة في الاقتصاد المنزلي، د. محمد خير الشعال.

- النمط الاستهلاكي وأثره على العلاقات الأسرية في المجتمع للدكتور جاسم الخواجة.

والله تعالى أعلم